
كتب الفراشة - حكايات محبوبة
التُّفّاحَةُ البلّورِيَّةَ
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

هٰذِهِ «حِكاياتٌ مَحْبوبَةٌ» رائِعَةٌ يُحِبُّها أَبْناؤُنا ويَتَعَلَّقونَ بِها. فالصِّغارُ مِنْهُمْ يَتَشَوَّقونَ إلى سَماعِ والِديهِمْ يَرْوونَها لَهُمْ، والقادِرونَ مِنْهُمْ عَلى القِراءَةِ يُقْبِلونَ عَلَيْها بِلَهْفَةٍ وشَوْقٍ، فيَتَمَرَّسونَ بِالقِراءَةِ ويَسْتَمْتِعونَ بِالحِكايَةِ. وهُمْ جَميعًا يَسْعَدونَ بِالتَّمَتُّعِ بِالرُّسومِ المُلَوَّنَةِ البَديعَةِ الَّتي تُساعِدُ عَلى إثارَةِ الخَيالِ وتَكْمِلَةِ الجَوِّ القَصَصِيِّ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُساعِدُ أَبْناءَنا عَلى القِراءَةِ الصَّحيحَةِ.

كتب الفراشة - حكايات محبوبة

التّفّاحَة البلّوريّة

الدّكتور ألْبير مُطْلق



مكتبة لبنان ناشِرون



فِي قَديمِ الزَّمانِ ، كانَ مُزارِعٌ لَطيفٌ يَعيشُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَابْنَتُهُ الصَّغيرَةُ ماروشْيا في قَرْيَةٍ صَغيرَةٍ نائِيَةٍ مِنْ قُرى بَعْضِ الْبِلادِ الْبارِدَةِ. وَعِنْدَما كانَتْ ماروشْيا لا تَزالُ صَغيرَةً ماتَتْ أُمُّها ، فَتَزَوَّجَ الأَبُ أَرْمَلَةً عِنْدَها ابْنَتانِ. وَحَرَصَ الْمُزارِعُ وَزَوْجَتُهُ عَلى مُعامَلَةِ الْبَناتِ الثَّلاثِ مُعامَلَةً واحِدَةً.

كانَتْ ماروشْيا ، ابْنَةُ الْمُزارِعِ ، أَجْمَلَ الْفَتَياتِ الثَّلاثِ وَأَصْغَرَهُنَّ. وَكانَتْ ، مَعَ جَمالِها السّاحِرِ ، فَتاةً طَيِّبَةَ الْقَلْبِ نَشيطَةً تُحِبُّ والِدَيْها وَأُخْتَيْها وَتَعْمَلُ في الْبَيْتِ بِجِدٍّ. أَمّا الأُخْتانِ الأُخْرَيانِ فَكانَتا طائِشَتَيْنِ كَسولَتَيْنِ لا يَهُمُّهُما غَيْرُ الْوُقوفِ أَمامَ الْمِرْآةِ ، وَتَتْرُكانِ نَصيبَهُما مِنَ الْعَمَلِ الْمَنْزِلِيِّ لِأُخْتِهِما الصُّغْرى.

أَرادَ الْمُزارِعُ يَوْمًا أَنْ يُسافِرَ إِلى مَدينَةٍ بَعيدَةٍ لِشِراءِ أَدَواتٍ وَمُؤَنٍ. فَجَمَعَ بَناتِهِ وَسَأَلَهُنَّ عَمّا يَرْغَبْنَ فيهِ مِنْ هَدايا.

قالَتِ الْكُبْرى: «أُريدُ عِقْدًا ذَهَبِيًّا.»

وَقالَتِ الْوُسْطى: «أُريدُ فُسْتانًا حَريرِيًّا.»

لَكِنَّ الصُّغْرى ظَلَّتْ ساكِتَةً، فَاقْتَرَبَ مِنْها أَبوها، وَقالَ لَها: «وَأَنْتِ يا كَنْزِيَ الثَّمينَ، ماذا تُريدينَ؟»

قالَتْ ماروشْيا: «سَأُفَكِّرُ في الْأَمْرِ يا أَبي.» وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَتْ في نَوْمِها حُلْمًا غَريبًا، فَاسْتَيْقَظَتْ باكِرًا، وَأَسْرَعَتْ إِلى أَبيها وَقالَتْ لَهُ: «أُريدُ، يا أَبي، صَحْنًا فِضِّيًّا وَتُفّاحَةً بِلَّوْرِيَّةً!»





مَضى الْمُزارِعُ الْعَجوزُ بِعَرَبَتِهِ. وَما إِنِ ابْتَعَدَتْ أَصْواتُ الْخَيْلِ حَتّى عادَتِ الصَّغيرَةُ تَعْمَلُ بِجِدٍّ في تَنْظيفِ الْبَيْتِ وَإِعْدادِ الطَّعامِ. أَمّا الأُخْتانِ الْكُبْرَيانِ فَعادَتا إِلى الْمِرْآةِ تَتَحَدَّثانِ عَنِ الْعِقْدِ الذَّهَبِيِّ وَالْفُسْتانِ الْحَريرِيِّ، وَتَشْتَكِيانِ مِنَ الطَّعامِ الَّذي تُعِدُّهُ أُخْتُهُما.

وَفي أَحَدِ الأَيّامِ سُمِعَتْ أَصْواتُ الْخَيْلِ تَقْتَرِبُ مِنَ الْمَنْزِلِ، فَخَرَجَتِ الْبَناتُ الثَّلاثُ لِاسْتِقْبالِ الأَبِ.

قالَتِ الْكُبْرى: «أَيْنَ عِقْدِيَ الذَّهَبِيُّ؟»

وَقالَتِ الْوُسْطى: «وَأَيْنَ فُسْتانِيَ الْحَريرِيُّ؟»

أَمّا الصُّغْرى فَقَدْ ساعَدَتْ أَباها وَسَأَلَتْهُ عَنْ حالِهِ.

أَعْطى الْأَبُ ابْنَتَهُ الْكُبْرى عِقْدًا فَريدًا وَأَعْطى ابْنَتَهُ الْوُسْطى فُسْتانًا بَديعًا ، ثُمَّ أَعْطى الصُّغْرى ماروشْيا هَدِيَّتَها ، وَقالَ لَها :

«فَتَّشْتُ أَيّامًا في الْأَسْواقِ الْعَتيقَةِ وَالدَّكاكينِ الْبَعيدَةِ. أَخيرًا باعَني الصَّحْنَ الْفِضِّيَّ تاجِرٌ مِنْ سَمَرْقَنْدَ وَباعَني التُّفّاحَةَ الْبِلَّوْرِيَّةَ تاجِرٌ مِنْ طَشْقَنْدَ. ماذا سَتَفْعَلينَ بِهَدِيَّتِكِ يا صَغيرَتي ؟»

«سَأُبْرُمُ التُّفّاحَةَ في الصَّحْنِ ، يا أَبي .» فَضَحِكَتِ الْأُخْتانِ الْكُبْرَيانِ طَويلًا مِنْ كَلامِ ماروشْيا ، وَمَشَتا كَما يَمْشي الطّاووسُ مُتَباهِيَتَيْنِ بِالْعِقْدِ الذَّهَبِيِّ وَالْفُسْتانِ الْحَريرِيِّ.





جَلَسَتْ ماروشْيا عَلى الْأَرْضِ قُرْبَ الْمَوْقِدِ وَبَرَمَتِ التُّفّاحَةَ الْبِلَّوْرِيَّةَ في الصَّحْنِ الْفِضِّيِّ مَرّاتٍ. راحَتِ التُّفّاحَةُ تُدَوِّمُ في الصَّحْنِ وَتُدَوِّمُ بِسُرْعَةٍ مُتَزايِدَةٍ حَتّى لَمْ تَعُدْ بادِيَةً لِلْعِيانِ، وَلَمْ يَعُدْ يُرى في الصَّحْنِ الْفِضِّيِّ غَيْرُ ضَبابَةٍ أَشْبَهَ بِإِعْصارٍ صَغيرٍ. وَبَدَتْ عَيْنا ماروشْيا تُشِعّانِ بِبَريقٍ ساحِرٍ.

وَقَفَتِ الْأُخْتانِ تَسْخَرانِ مِنْ ماروشْيا الَّتي تُحَدِّقُ بِتُفّاحَةٍ مُدَوِّمَةٍ. لٰكِنَّ الصَّغيرَةَ لَمْ تَحْفِلْ بِهِما بَلْ جَلَسَتْ تُراقِبُ التُّفّاحَةَ وَتَقولُ:

تُفّـــاحَتي تَـــدورْ   في صَحْنِها الْمَسْحورْ
أُريـــدُ مِنْهـــا وَرْدَةً   تَفــوحُ بِـــالْعَبيرْ



فَجْأَةً بَدا في وَسَطِ الضَّبابَةِ صورَةُ وَرْدَةٍ رائِعَةٍ. فَارْتَعَشَ جَسَدُ الصَّغيرَةِ بَهْجَةً وَانْفِعالًا. ثُمَّ طَلَبَتْ أَنْ تَرى الْبَحْرَ الْأَزْرَقَ وَالسُّفُنَ ذاتَ الْأَشْرِعَةِ الْبَيْضاءِ ، وَطَلَبَتْ بَحّارَةً يَقِفونَ في وَجْهِ الرّيحِ ، فَرَأَتْ كُلَّ ذٰلِكَ.

في هٰذِهِ الْأَثْناءِ كانَ أَبوها وَأُمُّها وَأُخْتاها قَدِ اقْتَرَبوا مِنْها وَالْتَفّوا حَوْلَها مَذْهولينَ. ثُمَّ أَغْمَضَتْ ماروشْيا عَيْنَيْها ، وَضَمَّتْ يَدَيْها إِلى صَدْرِها ، وَتَمْتَمَتْ طالِبَةً أَنْ تَرى ابْنَ الْإِمْبَراطورِ. وَما هِيَ إِلّا لَحَظاتٌ حَتّى كانَ قَدْ ظَهَرَ أَمامَها صورَةُ الْأَميرِ الشّابِّ الْوَسيمِ ، وَقَدْ لَبِسَ ثَوْبًا مُطَرَّزًا بِخُيوطِ الذَّهَبِ وَتَقَلَّدَ سَيْفًا فِضِّيًّا مَنْقوشًا بِالْجَواهِرِ.



أَكَلَ الْحَسَدُ قَلْبَ الْأُخْتَيْنِ الطّائِشَتَيْنِ. قالَتِ الْكُبْرى: «أَعْطيني الصَّحْنَ الْفِضِّيَّ وَالتُّفّاحَةَ الْبِلَّوْرِيَّةَ فَأُعْطِيَكِ عِقْدِيَ الذَّهَبِيَّ!»

وَقالَتِ الْوُسْطى: «أَعْطيني الصَّحْنَ الْفِضِّيَّ وَالتُّفّاحَةَ الْبِلَّوْرِيَّةَ فَأُعْطِيَكِ فُسْتانِيَ الْمُطَرَّزَ!»

لٰكِنَّ ماروشْيا رَفَضَتْ طَلَبَهُما، فَهِيَ تُحِبُّ هَدِيَّتَها، وَهِيَ قَدْ أَحَبَّتِ الْأَميرَ الْوَسيمَ حُبًّا شَديدًا، وَلَمْ تَكُنْ تُريدُ أَنْ يَحْرِمَها أَحَدٌ مِنْهُ.

صارَتِ الْأُخْتانِ الْكُبْرَيانِ تُفكِّرانِ في التُّفّاحَةِ الْبَلّوْرِيَّةِ لَيْلًا نهارًا ، ولا تُفكِّرانِ في شَيْءٍ آخَرَ . أخيرًا اتَّفَقَتا على خُطَّةٍ .

طَلَبَتِ الْأُخْتانِ الطّائِشَتانِ مِنْ ماروشْيا أَنْ تُرافِقَهُما إلى الْغابَةِ لِقَطْفِ ثِمارِ التّوتِ الْبَرِّيِّ . عَجِبَتْ ماروشْيا مِنْ طَلَبِهِما ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ عادَتِهِما أَنْ تَقْطُفا ثِمارَ التّوتِ ، كَما أَنَّها كانَتْ ، في الْواقِعِ ، تَرْغَبُ في الْبَقاءِ وَحْدَها لِتَلْهُوَ بِصَحْنِها الْفِضِّيِّ وَتُفّاحَتِها الْبَلّوْرِيَّةِ .





ذَهَبَتْ ماروشْيا إلى أَبيها وَسَلَّمَتْهُ الصَّحْنَ وَالتُّفّاحَةَ وَرَجَتْهُ أَنْ يُخَبِّئَهُما لَها رَيْثَما تَعودُ. ثُمَّ عادَتْ إلى أُخْتَيْها. وَمَضَتِ الْأَخَواتُ الثَّلاثُ بِسِلالِهِنَّ إلى الْغابَةِ.

شُغِلَتْ ماروشْيا بِقَطْفِ ثِمارِ التّوتِ الْبَرِّيِّ، فَلَمْ تَرَ ما كانَتْ أُخْتاها الطّائِشَتانِ تَفْعَلانِ. وَعِنْدَما انْتَهَتْ مِنْ قَطْفِ الثِّمارِ رَفَعَتْ رَأْسَها فَوَجَدَتْ أُخْتَيْها أَمامَها، في عُيونِهِما شَرٌّ وَفي يَدِ الْكُبْرى هِراوَةٌ.

أَحَسَّتْ ماروشْيا بِرِعْشَةِ خَوْفٍ. لٰكِنَّها ابْتَسَمَتْ وَقالَتْ: «لَنْ تَقْطُفا ثِمارَ التّوتِ الْبَرِّيِّ بِهِراوَةٍ؟»

قالَتِ الْكُبْرى مُلَوِّحَةً بِالْهِراوَةِ: «أَعْطيني تُفّاحَتَكِ الْبَّوْرِيَّةَ!»

وَقالَتِ الْوُسْطى آمِرَةً: «وَأَعْطيني صَحْنَكِ الْفِضِّيَّ!»

بَكَتْ ماروشْيا وَقالَتْ: «أَرْجوكُما يا أُخْتَيَّ لا تُؤْذِياني، فَلَيْسَ مَعي التُّفّاحَةُ وَلا الصَّحْنُ!»

لكِنَّ الْأُخْتَيْنِ لَمْ تُصَدِّقا ماروشْيا، فَأَمْسَكَتا بِها وَضَرَبَتاها بِالْهِراوَةِ ضَرْبَةً رَمَتْها أَرْضًا. وَفَتَّشَتاها فَلَمْ تَجِدا مَعَها شَيْئًا. لكِنَّ ماروشْيا كانَتْ ساكِنَةً لا حَراكَ بِها.





جَرَّتِ الْأُخْتانِ الْكُبْرَيانِ أُخْتَهُما ماروشْيا إِلى مَوْقِعٍ مُنْزَوٍ تَحْتَ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ صَغيرَةٍ وَغَطَّتاها بِالْعيدانِ وَالْحَشائِشِ ، وَأَسْرَعَتا تَتْرُكانِ الْغابَةَ .

كانَ في الْمَكانِ دُبٌّ أَسْمَرُ وَسُنونو صَغيرٌ فَرَأَيا ما حَدَثَ وَحَزِنا كَثيرًا . وَقالا : «لَعَلَّ الْفَتاةَ لَمْ تَمُتْ !» كَشَفا عَنْ وَجْهِها ، فَبَدَتْ لَهُما كَأَنَّها أَميرَةٌ نائِمَةٌ . ثُمَّ عادا فَغَطَّياها بِأَوْراقِ الشَّجَرِ النَّدِيَّةِ وَالْأَغْصانِ الطَّرِيَّةِ خَوْفًا عَلَيْها مِنَ الْوُحوشِ الضّارِيَةِ وَالطُّيورِ الْكاسِرَةِ .

عادَتِ الْأُخْتانِ الْكُبْرَيانِ إلى الْمَنْزِلِ فَفَرَكَتا عُيونَهُما لِتَبْدُوَ مُحْمَرَّةً. وَأَخَذَتا تنوحانِ وَتُعْوِلانِ. أَقْبَلَ الْأَبُ وَالْأُمُّ مَذْعُورَيْنِ. فَصاحَتِ الْأُخْتانِ:

«يا لَلْمُصيبَةِ! ضاعَتْ أُخْتُنا الصَّغيرَةُ الْمِسْكينَةُ في الْغابَةِ! فَتَّشْنا عَنْها في كُلِّ زاوِيَةٍ! كانَتِ الذِّئابُ تَعْوي. لا بُدَّ أَنَّها افْتَرَسَتْ أُخْتَنا الصَّغيرَةَ!»

تَدَفَّقَ الدَّمْعُ في عَيْنَيِ الْأَبِ وَالْأُمِّ تَدَفُّقَ أَنْهارِ الرَّبيعِ، فَقَدْ كانا يُحِبّانِ الصَّغيرَةَ كَثيرًا. وَقَبْلَ أَنْ يَجِفَّ دَمْعُهُما طَلَبَتِ الْأُخْتانِ مِنَ الْأَبِ أَنْ يُعْطِيَهُما التُّفّاحَةَ وَالصَّحْنَ. لٰكِنَّ الْأَبَ رَفَضَ طَلَبَهُما، وَقالَ: «سَأَحْتَفِظُ بِالتُّفّاحَةِ وَالصَّحْنِ طَوالَ عُمْري تَذْكارًا مِنِ ابْنَتي الصَّغيرَةِ الْمِسْكينَةِ!»



كانَ السُّنونو الصَّغيرُ يوْمًا يَدورُ في سَماءِ الْقَرْيَةِ، فرأى الْأُخْتَيْنِ الشِّرّيرَتَيْنِ، وَعَرَفَهُما. كانَتا مُنْزَوِيَتَيْنِ في ساحَةِ الْمَنْزِلِ تَتَحَدَّثانِ بِصَوْتٍ خَفيضٍ. فَاقْتَرَبَ مِنْهُما وَسَمِعَهُما تُدَبِّرانِ أَمْرًا. كانَتا تَقولانِ: «عِنْدَما يَنامُ اللَّيْلَةَ نَأْخُذُ مِنْهُ الْمِفْتاحَ، وَنَفْتَحُ خِزانَتَهُ، وَنَسْتَوْلي عَلى التُّفّاحَةِ وَالصَّحْنِ.»

طارَ السُّنونو الصَّغيرُ إلى صديقِهِ الدُّبِّ الْأَسْمَرِ وَحَدَّثَهُ بِالْأَمْرِ. وَعِنْدَما هَبَطَ الظَّلامُ تَرَكَ الصَّديقانِ الْغابَةَ وَأَسْرَعا إلى بَيْتِ الْمُزارِعِ الْعَجوزِ. تَسَلَّلَ السُّنونو إلى غُرْفَةِ الْأَبِ وَاخْتَبَأَ فَوْقَ الْخِزانَةِ. أَمّا الدُّبُّ فَقَدْ تَسَلَّقَ الشُّرْفَةَ وَانْزَوى وَراءَ الْبابِ.





عِنْدَ انْتِصافِ اللَّيْلِ تَسَلَّلَتِ الأُخْتانِ الشِّرِّيرَتانِ إلى غُرْفَةِ أَبيهِما ، وَسَحَبَتا مِنْهُ الْمِفْتاحَ بِحَذَرٍ ، وَفَتَحَتا الْخِزانَةَ .

في هٰذِهِ اللَّحْظَةِ قَفَزَ السُّنونو الصَّغيرُ وَنَقَرَ كُلًّا مِنَ الأُخْتَيْنِ في رَقَبَتِها نَقْرَةً قَوِيَّةً . خافَتِ الأُخْتانِ الشِّرِّيرَتانِ خَوْفًا شَديدًا ، وَظَنَّتا أَنَّ شَبَحَ أُخْتِهِما الصَّغيرَةِ قَدْ جاءَ يَنْتَقِمُ مِنْهُما لِأَنَّهُما تَسْرِقانِ صَحْنَها الْفِضِّيَّ وَتُفّاحَتَها الْبِلَّوْرِيَّةَ . فَأَسْرَعَتا تَهْرُبانِ مِنَ الْغُرْفَةِ مَذْعورَتَيْنِ .

فَتَحَ السُّنونو بابَ الشُّرْفَةِ ، فَدَخَلَ الدُّبُّ وَحَمَلَ التُّفّاحَةَ وَالصَّحْنَ . وَعادَ هُوَ وَصَديقُهُ السُّنونو إلى الْغابَةِ .



أَزاحَ الدُّبُّ الأَسْمَرُ وَالسُّنونو الصَّغيرُ أَوْراقَ الشَّجرِ النَّدِيَّةَ وَالْأَغْصانَ الطَّرِيَّةَ عَنِ الْفَتاةِ الَّتي تَبْدو كَأَنَّها أَميرَةٌ نائِمَةٌ. وَوَضَعا إلى جانِبِها الصَّحْنَ الْفِضِّيَّ وَالتُّفّاحَةَ الْبِلَّوْرِيَّةَ، ثُمَّ عادا فَغَطَّياها.

ظَلَّ الدُّبُّ وَالسُّنونو يَرْعَيانِ الْفَتاةَ طَوالَ الصَّيْفِ وَبَعْضَ الْخَريفِ. وَذاتَ يَوْمٍ بَدا السُّنونو الصَّغيرُ حَزينًا. قالَ لِصَديقِهِ الدُّبِّ: «أَنا راحِلٌ غَدًا مَعَ الطُّيورِ الْمُهاجِرَةِ. إذا بَقيْتُ هُنا أَموتُ بَرْدًا. لكِنّي عائِدٌ في الرَّبيعِ. إلى اللِّقاءِ يا صَديقي!» ثُمَّ الْتَفَتَ إلى الْفَتاةِ. وَقالَ: «إلى اللِّقاءِ، أَيَّتُها الأَميرَةُ النّائِمَةُ!»

ثُمَّ اشْتَدَّتْ بُرودَةُ الطَّقْسِ ، وَتَساقَطَ الثَّلْجُ . فَأَحَسَّ الدُّبُّ بِنُعاسٍ وَضَعْفٍ ، وَعَرَفَ أَنَّ أَوانَ الْإِسْباتِ الشَّتَوِيِّ قَدْ حانَ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ الْآنَ أَنْ يَذْهَبَ إِلى كَهْفِهِ وَيَنامَ طَوالَ الشِّتاءِ .

لٰكِنَّهُ لَمْ يَنَمْ إِلّا بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّ إِلى أَنَّ الثَّلْجَ قَدْ غَطّى الْأَرْضَ وَأَنَّ الصَّقيعَ قَدْ أَبْعَدَ الْوُحوشَ وَالْكَواسِرَ .





مَعَ حُلولِ الشِّتاءِ كانَ سُكّانُ الْقَرْيَةِ قَدْ نَسوا الْفَتاةَ الصَّغيرَةَ الطَّيِّبَةَ الْقَلْبِ. لٰكِنَّ والِدَيْها لَمْ يَنْسَياها. كَذٰلِكَ لَمْ تَنْسَها أُخْتاها الْكَسولَتانِ فَقَدْ باتَ عَلَيْهِما أَنْ تَقوما بِالْعَمَلِ الْمَنْزِلِيِّ كُلِّهِ.

وَكانَ الشِّتاءُ طَويلاً قاسِيًا. غَطّى الثَّلْجُ الْبِلادَ كُلَّها. وَاقْتَرَبَتِ الذِّئابُ مِنَ الْقَرْيَةِ بَحْثًا عَنِ الطَّعامِ. وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَتَنَقَّلُ إلى أَبْعَدَ مِمّا تَفْرُضُهُ عَلَيْهِ ضَروراتُ الْعَيْشِ.

أَخيرًا لاحَتْ تَباشيرُ الرَّبيعِ. بَدَأَ الثَّلْجُ بِالذَّوَبانِ وَظَهَرَتِ الْبَراعِمُ عَلى أَغْصانِ الشَّجَرِ، وَعادَتِ الطُّيورُ إِلى التَّغْريدِ، وَأَخَذَتِ الشَّمْسُ تَزْدادُ دِفْئًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.

ذاتَ يَوْمٍ شَرَدَتْ بَعْضُ الحِمْلانِ إِلى الْغابَةِ. فَلَحِقَ بِها راعٍ شابٌّ. وَبَيْنَما كانَ يَبْحَثُ عَنْها وَصَلَ إِلى شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ صَغيرَةٍ تُظَلِّلُ بِأَغْصانِها الْمُتَمايِلَةِ هُضَيْبَةً صَغيرَةً مِنَ الْأَرْضِ. وَفي وَسَطِ تِلْكَ الْهُضَيْبَةِ رَأى الرّاعي قَصَبَةً واحِدَةً. فَعَجِبَ لِتِلْكَ الْقَصَبَةِ الْوَحيدَةِ كَيْفَ لا تَنْبُتُ مَعَ غَيْرِها مِنَ الْقَصَبِ عَلى حَفافي الْمِياهِ. لٰكِنَّ عَجَبَهُ كانَ أَعْظَمَ لِأَزْهارٍ كانَتْ تُحيطُ بِالْقَصَبَةِ، حَمْراءَ بِلَوْنِ الشَّفَقِ وَزَرْقاءَ بِلَوْنِ السَّماءِ.





تَأَمَّلَ الرّاعي الْقَصَبَةَ وَالْأَزْهارَ وَقالَ في نَفْسِهِ: «سَأَصْنَعُ مِنْ هذِهِ الْقَصَبَةِ مِزْمارًا». ثُمَّ قَصَّ النَّبْتَةَ وَنَظَّفَها وَجَعَلَ فيها فُتَحًا.

وَضَعَ الرّاعي شَفَتَيْهِ عَلى الْمِزْمارِ يُريدُ أَنْ يَعْزِفَ. لكِنْ قَبْلَ أَنْ يَنْفُخَ فيهِ ارْتَفَعَ صَوْتُ الْمِزْمارِ وَحْدَهُ بِلَحْنٍ جَميلٍ وَصَوْتٍ أُنْثَوِيٍّ رَقيقٍ قائِلًا:

يا صاحِبي الْمِزْمارَ، اِحْكِ لِأَهْلي قِصَّتي!
ضَرَبَتْني أُخْتايَ. وَفي الْغابَةِ رَمَتاني!
بِتُفّاحَةٍ بِلَّوْرِيَّةٍ طَمِعَتا، وَبِصَحْنٍ فِضِّيٍّ.



ذَهِلَ الرّاعي أَوَّلَ الْأَمْرِ وَظَنَّ أَنَّهُ في حُلْمٍ. وَعِنْدَما أَفاقَ مِنْ ذُهولِهِ جَرى راكِضًا، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ إِلّا في ساحَةِ الْقَرْيَةِ. وَهُناكَ وَضَعَ شَفَتَيْهِ عَلى الْمِزْمارِ، فَارْتَفَعَ صَوْتُ الْمِزْمارِ بِاللَّحْنِ الْجَميلِ وَالصَّوْتِ الْأُنْثَوِيِّ الرَّقيقِ مُرَدِّدًا تِلْكَ الْأُغْنِيَةَ الْغَريبَةَ.

تَجَمَّعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ حَوْلَهُ ذاهِلينَ، وَراحوا يَسْأَلونَ الرّاعِيَ الشّابَّ عَنْ قِصَّةِ ذٰلِكَ الْمِزْمارِ الْعَجيبِ. وَاتَّفَقَ، في هٰذِهِ الْأَثْناءِ، أَنْ مَرَّ الْمُزارِعُ الْعَجوزُ، والِدُ ماروشْيا، وَاقْتَرَبَ مِنَ الْجَمْعِ وَسَمِعَ حِكايَةَ الرّاعي وَصَوْتَ الْمِزْمارِ.

عَرَفَ الْمُزارِعُ الْعَجوزُ صَوْتَ ابْنَتِهِ. فَانْهَمَرَتِ الدُّموعُ عَلى خَدَّيْهِ وَلِحْيَتِهِ، وَطَلَبَ مِنَ الرّاعي الشّابِّ أَنْ يَأْخُذَهُ إِلى الْقَصَبَةِ الَّتي اقْتَطَعَ مِنْها الْمِزْمارَ.



مَشى الرّاعي الشّابُّ وَالْمُزارِعُ الْعَجوزُ صَوْبَ الْغابَةِ. وَمَشى وَراءَهُما جَمْعٌ غَفيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ. وَصَلوا أَخيرًا إِلى شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ الصَّغيرَةِ، وَرَأَوْا الْهُضَيْبَةَ وَشاهَدوا في وَسَطِها الْقَصَبَةَ الْمَقْطوعَةَ تُحيطُ بِها أَزْهارٌ حَمْراءُ بِلَوْنِ الشَّفَقِ وَزَرْقاءُ بِلَوْنِ السَّماءِ.

أَسْرَعَ الْقَوْمُ يُزيحونَ الْأَزْهارَ وَأَوْراقَ الشَّجَرِ وَالْأَغْصانَ. وَهُناكَ وَجَدوا ماروشْيا الَّتي كانَتْ تَبْدو وَكَأَنَّها أَميرَةٌ نائِمَةٌ. وَوَجَدوا إِلى جانِبِها التُّفّاحَةَ الْبِلَّوْرِيَّةَ وَالصَّحْنَ الْفِضِّيَّ اللَّذَيْنِ كانَ الْأَبُ يَظُنُّ أَنَّ لِصًّا قَدْ سَرَقَهُما مِنْ خِزانَتِهِ.

صَرَخَ الْمُزارِعُ الْعَجوزُ : «هٰذِهِ ابْنَتي الصَّغيرَةُ !» وَراحَ يَبْكي وَيَنْتَحِبُ. لٰكِنْ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ سُمِعَ الْمِزْمارُ يَعْزِفُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ لَحْنًا جَديدًا وَيُغَنّي بِصَوْتٍ أُنْثَوِيٍّ رَقيقٍ قائِلاً :

أَيْقِظْني يا أَبي مِنْ هٰذا الْحُلْمِ الْمَريرِ !
جِئْني بِماءٍ مِنْ يَنْبوعِ الشِّفاءِ.
وَإِلى ذٰلِكَ الْحينِ فَغِطائي مِنَ الزَّهَرِ وَظِلُّ شَجَرٍ.



عادَ النّاسُ فَغَطَّوُا الْفَتاةَ بِالْأَزْهارِ وَأَوْراقِ الشَّجَرِ النَّدِيَّةِ وَالْأَغْصانِ الطَّرِيَّةِ. وَراحوا يَتَساءَلونَ عَنْ يَنْبوعِ الشِّفاءِ. لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا.

وَبَيْنَما هُمْ يَتَشاوَرونَ حائِرينَ سُمِعَ مِنْ خَلْفِ الْأَشْجارِ صَوْتٌ أَجَشُّ يَقولُ: «أَنا أَدُلُّكُمْ عَلَيْهِ!» اِلْتَفَتوا فَرَأَوُا الدُّبَّ الْأَسْمَرَ أَمامَهُمْ. خافوا وَتَأَهَّبوا لِلْفِرارِ. لٰكِنَّ الدُّبَّ قالَ لَهُمْ:

«لا تَخافوا! أَنا صَديقُ الْفَتاةِ الصَّغيرَةِ، وَها أَنا، بَعْدَ أَنِ اسْتَيْقَظْتُ مِنْ إِسْباتِيَ الشَّتَوِيِّ، عائِدٌ إِلى رِعايَتِها.»





مَشى الدُّبُّ إلى تَلَّةٍ قَريبَةٍ ، وَمَشى النّاسُ وَراءَهُ. ثُمَّ تَوَقَّفَ في أَعْلى التَّلَّةِ وَراحَ يُراقِبُ أَسْرابَ الطُّيورِ الْعائِدَةِ مِنْ هِجْرَتِها. ظَلَّ يُراقِبُ السَّماءَ مِنْ مَوْقِعِهِ ذاكَ ثَلاثَةَ أَيّامٍ. وَظَلَّ النّاسُ حَوْلَهُ يَنْتَظِرونَ.

أَخيرًا وَصَلَ سِرْبُ السُّنونو الَّذي كانَ الدُّبُّ الْأَسْمَرُ في انْتِظارِهِ. وَفَجْأَةً رَأى النّاسُ طائِرَ سُنونو صَغيرًا يَتْرُكُ سِرْبَهُ وَيَحُطُّ إلى جانِبِ الدُّبِّ.

رَحَّبَ الدُّبُّ بِصَديقِهِ السُّنونو وَحَكى لَهُ قِصَّةَ يَنْبوعِ الشِّفاءِ الَّذي يَقَعُ بَيْنَ سَبْعَةِ جِبالٍ وَيَبْعُدُ سَبْعَةَ بِحارٍ. فَانْطَلَقَ السُّنونو الصَّغيرُ مِنْ فَوْرِهِ سَعْيًا إلى ذٰلِكَ الْيَنْبوعِ.

عادَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ إلى حَياتِهِم الْيَوْمِيَّةِ في انْتِظارِ عَوْدَةِ السُّونو الصَّغيرِ، ما عَدا الرّاعِيَ الشّابَّ. فَقَدْ بَقِيَ قُرْبَ الْفَتاةِ الَّتي وَقَعَ في حُبِّها يَحْرُسُها لَيْلًا نَهارًا. وَإلى جانِبِهِ مِزْمارُهُ ذو الصَّوْتِ الأُنْثَوِيِّ الرَّقيقِ.

وَفي هٰذِهِ الأَثْناءِ تَناهى إلى مَسْمَعِ الإمْبَراطورِ حِكايَةُ ماروشْيا الْغَريبَةُ. فَأَرْسَلَ ابْنَهُ إلى الْقَرْيَةِ لِاسْتِقْصاءِ الأَمْرِ.

عِنْدَما تَثَبَّتَ الأَميرُ الشّابُّ مِمّا سَمِعَهُ مِنْ أَخْبارٍ، وَضَعَ الأُخْتَيْنِ الطّائِشَتَيْنِ في السِّجْنِ، وَتَوَجَّهَ إلى الْغابَةِ.





وَصَلَ الْأَميرُ إلى الصَّنَوْبَرَةِ الصَّغيرَةِ، وَهُناكَ رَأى الرّاعِيَ الشّابَّ جالِسًا إلى جِوارِ الْهُضَيْبَةِ، وَفي يَدِهِ الْمِزْمارُ الْعَجيبُ.

طَلَبَ الْأَميرُ مِنَ الرّاعي الشّابِّ أَنْ يَعْزِفَ عَلى الْمِزْمارِ. فَوَضَعَ الرّاعي شَفَتَيْهِ عَلى الْمِزْمارِ فَانْطَلَقَ الصَّوْتُ الْأُنْثَوِيُّ الرَّقيقُ يُرَدِّدُ بِلَحْنٍ شَجِيٍّ:

جِئْني بِماءٍ مِنْ يَنْبوعِ الشِّفاءِ.
وَإلى ذلِكَ الْحينِ فَغِطاءٌ مِنَ الزَّهَرِ وَظِلُّ شَجَرٍ.

أَحَبَّ الْأَميرُ الشّابُّ صاحِبَةَ ذلِكَ الصَّوْتِ الرَّقيقِ حُبًّا عَميقًا، وَطَلَبَ مِنَ الرّاعي أَنْ يَرى الْفَتاةَ الَّتي تَبْدو كَأَنَّها أَميرَةٌ نائِمَةٌ. لكِنَّ الرّاعِيَ قالَ: «لَنْ أَسْمَحَ بِذلِكَ إلّا بَعْدَ أَنْ يَصِلَ الْماءُ مِنْ يَنْبوعِ الشِّفاءِ. هكَذا أَوْصى صَوْتُ الْمِزْمارِ.»

ظَلَّ السُّنونو الصَّغيرُ يَطيرُ أَسابيعَ في الاِتِّجاهِ الَّذي حَدَّدَهُ لَهُ الدُّبُّ الأَسْمَرُ. كانَ مُنْهَكًا مِنَ الرِّحْلَةِ الطَّويلَةِ الَّتي قامَ بِها مَعَ الطُّيورِ الْعائِدَةِ مِنْ هِجْرَتِها السَّنَوِيَّةِ. وَكَثيرًا ما كانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ يوشِكُ أَنْ يَقَعَ مَيْتًا. لٰكِنَّهُ اسْتَطاعَ أَخيرًا أَنْ يَقْطَعَ الْبِحارَ السَّبْعَةَ وَأَنْ يَصِلَ إِلى أَعْلى قِمَّةٍ بَيْنَ الْجِبالِ السَّبْعَةِ.

وَقَعَ السُّنونو الصَّغيرُ أَرْضًا كَأَنَّما لا حَياةَ فيهِ. فَجْأَةً انْقَضَّ عَلَيْهِ طائِرٌ أَسْوَدُ ضَخْمٌ أَشْبَهُ بِغَمامَةٍ سَوْداءَ، وَأَمْسَكَهُ بِمَخالِبِهِ الْمُخيفَةِ وَطارَ بِهِ حينًا ثُمَّ حَطَّ بِهِ في بُقْعَةٍ جَبَلِيَّةٍ صَخْرِيَّةٍ. وَسُرْعانَ ما انْفَتَحَ بابُ كَهْفٍ عَظيمٍ دَخَلَهُ الطّائِرُ الضَّخْمُ حامِلًا مَعَهُ السُّنونو الصَّغيرَ.





وَجَدَ السُّنونو الصَّغيرُ نَفْسَهُ في ذلِكَ الْكَهْفِ أَمامَ مَلِكِ الطُّيورِ السَّوْداءِ. وَكانَ أَضْخَمَها كُلِّها. قالَ لَهُ الْمَلِكُ:

«نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ جِئْتَ تَأْخُذُ ماءً مِنْ يَنْبوعِ الشِّفاءِ. سَنُعْطيكَ ما تُريدُ إذا أَعَدْتَ لَنا الصَّحْنَ الْفِضِّيَّ وَالتُّفّاحَةَ الْبِلَّوْرِيَّةَ. فَهُما لَنا. مُنْذُ زَمَنٍ ضَرَبَ زِلْزالٌ هٰذِهِ الْجِبالَ فَأَضَعْناهُما. أَعْطونا ما لَنا وَخُذوا ما تُريدونَ!»

قالَ السُّنونو: «أَنا صَغيرٌ لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَحْمِلَهُما لَكُمْ. بَلْ إِنّي الْآنَ غَيْرُ قادِرٍ حَتّى عَلى الْعَوْدَةِ إلى بَلَدي.»

قالَ الْمَلِكُ: «يَحْمِلُكَ طائِرٌ مِنْ طُيورِنا عَلى ظَهْرِهِ. فَيُوْصِلُكَ وَيَعودُ بِالتُّفّاحَةِ وَالصَّحْنِ.»

رأى أَهْلُ الْقَرْيَةِ الطّائِرَ الضَّخْمَ يَحْمِلُ السُّنونو الصَّغيرَ عَلى ظَهْرِهِ وَيَتَّجِهُ صَوْبَ الْغابَةِ وَمَعَهُما ماءُ الْيَنْبوعِ ، فَأَسْرَعوا هُمْ أَيْضًا إِلَيْها. وَعِنْدَ الصَّنَوْبَرَةِ الصَّغيرَةِ اجْتَمَعَ الْمُزارِعُ الْعَجوزُ وَزَوْجَتُهُ وَالْأَميرُ وَالرّاعي وَعَدَدٌ غَفيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ وَالدُّبُّ وَالسُّنونو. وَوَقَفَ الطّائِرُ الضَّخْمُ عَلى تَلَّةٍ قَريبَةٍ يَنْتَظِرُ.

لَمَسَ الرّاعي غِطاءَ الزَّهَرِ بِحَنانٍ، وَراحَ يُزيحُ الْأَزْهارَ وَأَوْراقَ الْأَشْجارِ بِيَدَيْنِ رَفيقَتَيْنِ إِلى أَنِ انْكَشَفَ الْغِطاءُ كُلُّهُ. فَبَدَتِ الْفَتاةُ الْجَميلَةُ وَكَأَنَّها تَنامُ نَوْمًا هانِئًا.





أَسْرَعَ الْأَبُ يَرُشُّ قَطَراتٍ مِنْ ماءِ الشِّفاءِ عَلى وَجْهِ ابْنَتِهِ. وَما هِيَ إلّا لَحَظاتٌ حَتّى فَتَحَتْ ماروشْيا عَيْنَيْها وَفَرَكَتْهُما، وَكَأَنَّها تَسْتَيْقِظُ مِنْ حُلْمٍ. ثُمَّ قَفَزَتْ وَتَعَلَّقَتْ بِأَبيها، وَراحَ الْأَبُ يَبْكي فَرَحًا، وَيَضُمُّ ابْنَتَهُ إلى صَدْرِهِ.

تَطَلَّعَتْ ماروشْيا إلى النّاسِ مِنْ حَوْلِها، فَقَفَزَ قَلْبُ الرّاعي. لٰكِنَّ عَيْنَيْها لَمْ تَتَوَقَّفا عِنْدَهُ، بَلْ تَوَقَّفَتا عِنْدَ الْأَميرِ، فَقَدْ عَرَفَتْهُ وَرَأَتْهُ أَكْثَرَ وَسامَةً مِمّا كَشَفَتْهُ لَها التُّفّاحَةُ الْبَلّورِيَّةُ فَازْدادَ حُبُّها لَهُ. وَقَدْ رَآها الْأَميرُ أَجْمَلَ مِمّا وَصَفوها لَهُ، وَأَكْثَرَ رِقَّةً، فَتَعَلَّقَ بِها هُوَ أَيْضًا، وَعَزَمَ عَلى الزَّواجِ مِنْها.

عادَ الطّائِرُ الضَّخْمُ إلى كَهْفِ الْجِبالِ السَّبْعَةِ حامِلًا الصَّحْنَ الْفِضِّيَّ وَالتُّفّاحَةَ الْبِلَّوْرِيَّةَ. وَتَزَوَّجَ الأَميرُ مارُوشْيا وَعاشا سَعيدَيْنِ. وَطَلَبَتْ مارُوشْيا مِنَ الْأَميرِ أَنْ يَعْفُوَ عَنْ أُخْتَيْها، فَفَعَلَ. وَعاشَ الْمُزارِعُ الْعَجوزُ وَزَوْجَتُهُ قَريبَيْنِ مِنِ ابْنَتِهِما سَعيدَيْنِ راضِيَيْنِ. وَظَلَّ الدُّبُّ الْأَسْمَرُ وَالسُّنونو الصَّغيرُ يَتَرَدَّدانِ عَلى مارُوشْيا إِلّا في فَصْلِ الشِّتاءِ.

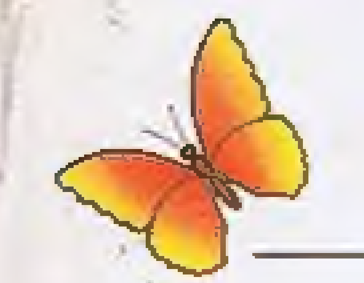
أَمّا الرّاعي الشّابُّ فَإِنَّهُ عِنْدَما رَأى أَنَّ الْفَتاةَ الْجَميلَةَ تُحِبُّ الْأَميرَ وَلا تُحِبُّهُ هُوَ، عادَ إلى خِرافِهِ يَرْعاها. وَظَلَّ طَوالَ حَياتِهِ يَعيشُ قُرْبَ الْغابَةِ وَيَتَرَدَّدُ عَلى الصَّنَوْبَرَةِ الصَّغيرَةِ الَّتي أَظَلَّتْ مَحْبوبَتَهُ، وَيَراها تَكْبُرُ عامًا بَعْدَ عامٍ. وَكانَ كُلَّما اشْتاقَ إلى صَوْتِ مَحْبوبَتِهِ أَمْسَكَ بِمِزْمارِهِ الْعَجيبِ وَوَضَعَهُ عَلى شَفَتَيْهِ وَسَمِعَ الصَّوْتَ الْأُنْثَوِيَّ يُرَدِّدُ لَحْنَهُ الشَّجِيَّ.



كتب الفراشة - حكايات محبوبة

مَكتبَة لبنَان ناشِرُون ش.م.ل.
زقاق البلاط - ص.ب: ١١-٩٢٣٢
بيروت، لبنان

الطبعة الأولى ١٩٩٥
طُبع في لبنان
رقم الكتاب 01C195204



كتب الفراشة

حكايات محبوبة ٣٢ . التفاحة البلورية

في كُتُبِ الفَراشَةِ سَلاسِلُ تَتَناوَلُ أَلْوانًا مِنَ المَوْضوعاتِ في العُلومِ المُبَسَّطَةِ والأَدَبِ القَصَصِيِّ والحَضاراتِ. ويُراعى فيها سِنُّ القارِئِ، مادَّةً وأُسْلوبًا وإِخْراجًا.

كُتُبُ الفَراشَةِ تَمْتازُ بِالتَّشْويقِ الشَّديدِ، وبِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ، وبِمَعارِفَ جَديدَةٍ قَريبَةِ المُتَناوَلِ، وبِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ صافِيَةٍ وواضِحَةٍ. إِنَّها كُتُبُ مُطالَعَةٍ مُمْتازَةٌ.



مكتبة لبنان ناشرون


01C195204